

مستقبل العلاقات الدولية بين العالمين الإسلامي والغربي في ظل العولمة

د/ صالح بوبشيش

أستاذ محاضر بكلية العلوم الإجتماعية والعلوم السياسية

—جامعة باتنة—

إذا كانت العلاقات الدولية بين جميع دول العالم لم تشهد تطورا عبر مختلف العصور كالذي تشهده اليوم في القرن الواحد والعشرين والقرن الذي سبقه، فإنها كذلك بالنسبة للعالم الإسلامي مع غيره وأقصد بذلك العالم الغربي، خاصة أن هذا التطور تزامن مع ظهور العولمة كواقع جديد لم تتضح بعد كل تداعياته على طبيعة هذه العلاقات، وذلك لتباين التصورات والنظريات حول حقيقة العولمة وأهدافها من جهة، والتداعيات الخطيرة لأحداث 11 سبتمبر 2001م على الإسلام والمسلمين من جهة ثانية.

فإذا كان هذا هو حال واقع العلاقات الدولية بين المسلمين والغرب محكوم بهذه التصورات المتباينة والتي تتخذ في غالبها موقفا عدائيا من كل ما هو إسلامي أو ينتسب إلى الإسلام؟ فهل ستتجه هذه العلاقات نحو مستقبل أسوأ يخيم على آفاقه التطاحن والصراع؟ أم أنها ستتجه نحو مزيد من التعاون والحوار لتحقيق مستقبل أفضل تتضح فيه ملامحها، وتبرز من خلالها مكانة العالم الإسلامي وأهميته في رسم تحولات النظام العالمي؟

الإجابة عن هذه الإشكالية - كما أحسبها - ارتسمت في ثلاثة محاور، وهي :



مستقبل العلاقات الدولية بين العالمين الإسلامي والغربي

المحور الأول : تحديد وتأصيل لماهية العلاقات الدولية والعولمة .

المحور الثاني : مستقبل العلاقات الدولية من منظور حتمية الصراع والهيمنة.

المحور الثالث : مستقبل العلاقات الدولية من منظور خيار الحوار والتعاون وتكافؤ الفرص.

وختاماً حوصلة لأبرز نتائج هذه المداخل.

المحور الأول :

تحديد وتأصيل لماهية العلاقات الدولية والعولمة :

1- ماهية العلاقات الدولية وجوانب الإيجابية والسلبية فيها :

- ماهية العلاقات الدولية :

إن مصطلح العلاقات الدولية وإن أفصح عن معناه في الظاهر بأن يراد منه تلك الروابط التي تحكم بين مجموعة من الدول ذات السيادة بغرض تبادل المصالح، إلا أن ماهيته أبلغ بكثير من هذا المعنى لما يتطلبه المصطلح من دراسة لعدد من الموضوعات الواسعة لتحديد طبيعة هذه العلاقات، كالتاريخ والجغرافيا والقانون الدولي وحتى القوانين الداخلية والنظم السياسية والاقتصادية التي تتبعها الدول وكذا الديانات والمعتقدات السائدة في أوساط مجتمعاتها وشعوبها⁽¹⁾.

وعليه فإن للعلاقات الدولية معان مختلفة تبعاً لاختلاف المناهج المستخدمة في دراستها، والتي تندرج في معظمها ضمن مجموعتين رئيسيتين، هما: مجموعة المناهج التقليدية، ومجموعة المناهج المعاصرة.

ويقصد بالأولى تلك المناهج التي تعتمد في دراستها للعلاقات الدولية على معايير عدة، منها التاريخية، والقانونية، والواقعية أو ما يطلق عليها سياسات القوة والمصالح القومية.

فباعتبار المعيار التاريخي يراد بالعلاقات الدولية تلك التي تنبني في أساسها على الجذور التاريخية السابقة للدولة على أساس أن التاريخ عامل مهم للتجريب والاختبار للعلاقة التي تنشأ بين الأسباب والنتائج في السياسة الدولية.

وباعتبار المعيار القانوني، فإن العلاقات الدولية هي تلك التي تحكمها الالتزامات التي تنشأ عن تعاقد الدول مع بعضها بموجب معاهدات أو اتفاقيات أو موثائق دولية محددة تؤمن بها مصالحها المشتركة.

أما حقيقة العلاقات الدولية باعتبار المعيار الواقعي فإنها العلاقات التي تتأسس على المنطق الذي يزعم أن القوة هي القاعدة المحورية حتى وإن أحيط هذا المنطق ببعض الشكليات القانونية و المبررات الأخلاقية، فإن منطق الصراع والغلبة للأقوى يبقى هو المحور الرئيسي في السياسة الدولية، ولهذا فكثيرا ما تسمى السياسة الدولية بسياسة القوة.

وأما الثانية - أي مجموعة المناهج الحديثة - فإنها ظهرت عقب التحولات الجذرية التي شهدتها العالم في الربع الأخير من القرن العشرين، حيث أضحي الأمر في خلق السياسة الدولية يتعدى الدول - باعتبار فاعل تقليدي- إلى فاعلين آخرين لهم دور مهم كالأقليات و المنظمات غير الحكومية، كما أن فضاء الموضوعات التي تمثل محتوى العلاقات الدولية اتسع - في ضوء هذه المناهج - ليشمل فضلا عن القضايا العسكرية



مستقبل العلاقات الدولية بين العالمين الإسلامي والغربي —



والأمنية، التجارة الدولية، التلوث و البيئة، الانفجار السكاني، المعونات، والموارد الطبيعية..

ومن ثم فإن الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها العلاقات الدولية تتعدى الأهداف السياسية التقليدية إلى تحقيق الرخاء المطلق أي تحقيق نصيب أكبر من النتائج العالمي.

الجوانب الإيجابية في العلاقات الدولية :

- لعل أهم ما يميز العلاقات الدولية من إيجابيات يمكن تركيزه في النقاط التالية :
- تسمح العلاقات الدولية بالانفتاح على الدول الأخرى والتعرف على مقوماتها الثقافية والحضارية، والاستفادة منها وفق مستوى العلاقة الموجود بينها.
- تسهم العلاقات الدولية في بعث التعاون بين الدول لتحقيق المصالح المشتركة.
- تضطلع العلاقات الدولية على أمر مهم في إرساء أركان الأمن والسلم الدوليين.
- تعمل العلاقات الدولية على الحفاظ على المصالح القومية للدول.

الجوانب السلبية في العلاقات الدولية :

- كما نلمس حقيقة وجود الإيجابيات في العلاقات التي تحكم الدول فإننا كذلك نجد فيها العديد من السلبيات أهمها :
- غياب النظرة الإنسانية في العلاقات الدولية خاصة بين الغنية منها والفقيرة.



- سيطرة منطق الخضوع للأقوى في علاقات الدول.

- أن العلاقات الدولية لا تحكمها القيم الأخلاقية و القانونية، وإنما تحكمها قيم واقعية تنبني أساسا على المصلحة.

" ذلك أن القانون الدولي كما يعرفه رجال القانون ذو طبيعة خاصة، ومحاولة تطبيق القواعد الأخلاقية التي تحكم تصرفات الأفراد على تصرفات الدول محاولة فاشلة "(2).

بل إن هناك ما يشبه العلاقات الدولية في السلوك الاجتماعي للحيوانات، وهذا السلوك هو موضوع بحث واهتمام علماء الحيوان اليوم، إن اعتبارات البقاء كضمان الطعام وحماية أماكن التناسل هي التي تحكم تجمعات الحيوانات، وكثيرا ما تثار نزاعات ضارية بين أبناء الفصيلة الواحدة حول الاستئثار بمنطقة ما وإبعاد الحيوانات الغريبة التي تحاول دخولها "(3).

2- ماهية العولمة وجوانب الإيجابية والسلبية فيها :

- ماهية العولمة :

منذ التسعينات أصبح مصطلح العولمة هو السائد في مجال العلاقات الدولية، وهو في الأصل ترجمة للكلمة الإنجليزية Globalisation أو الكلمة الفرنسية Mondialisation ، وقد أثرت حوله مفاهيم وتعريف مختلفة متقاربة أحيانا و متباعدة أحيانا أخرى.

ويبدو أن سبب الخلاف في تعريفها يرجع إلى أن العولمة كظاهرة مركبة ليست شيئا بسيطا يمكن تعيينه ووصفه بدقة بقدر ما هي جملة عمليات متداخلة تتجسد في تحريك



مستقبل العلاقات الدولية بين العالمين الإسلامي والغربي

المعلومات والأفكار و الأموال و الأشياء وحتى الأشخاص بصورة لا سابق لها من الآنية والشمولية و الديمومة على نحو يجعل العالم واحد (4).

في ظل

فالعولمة - كما قال مدير المنظمة العالمية للتجارة - واقعا وليست اختيارا، واقع يبدأ بنا وبحياتنا اليومية، في الصباح نستيقظ على جهاز راديو ياباني مجمع بماليزيا، نتناول القهوة الواردة من كولومبيا، نستقل سيارتنا المصنوعة بفرنسا لكن بنسبة 50% من أجزائها تأتي من كل أنحاء العالم، ثم نتجه إلى المكتب حيث الحاسوب وكل الأجهزة الأخرى المنتجة بمعظم مناطق العالم، العولمة واقع في حياتنا اليومية وليست اختيارا .. (5).

تعريفها باعتبار المعيار الاقتصادي :

العولمة عبارة عن اندماج أسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال الأموال والقوى العاملة ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق وثانيا خضوع العالم لقوى السوق العالمية، مما يؤدي إلى اختراق الحدود القومية وإلى الانحسار الكبير في سيادة الدولة، و أن العنصر الأساسي في هذه الظاهرة هي الشركات الرأسمالية الضخمة .. (7).

تعريفها باعتبار المعيار الثقافي :

يراد بالعولمة بهذا الاعتبار، العمل على تحقيق الطموحات المادية و المعنوية لجميع الناس في هذا العالم وبلوغ الهدف المثالي في أن تكون للعالم حضارة عالمية واحدة، وذلك بأن تسود في العالم لغة مشتركة و نظام تعليمي واحد، وأن تسود فيهم عقيدة واحدة، وأن تكون لهم قيم مشتركة في مسائل حقوق الإنسان والعلاقة بين الجنسين ..



تعريف العولمة باعتبار معيار الشمولية :

العولمة بهذا المعيار أعمّ من سابقتها، فتشمل العولمة الاقتصادية والثقافية والسياسية..

وقد وردت تعريفات كثيرة للعولمة بهذا الاعتبار منها تعريف برهان غليون الذي يقول فيه: "إن العولمة يمكن تلخيصها في كلمتين، كثافة انتقال المعلومات - في جميع مناحي الحياة وسرعتها إلى درجة أصبحنا نشعر أننا نعيش في عالم موحد" (8).

وقريب منه ما خلصت إليه ندوة العرب والعولمة من تحديد لمعنى العولمة باعتبار الشمولية، وحاصلة أن العولمة هي سهولة حركة الناس والسلع والأموال على نطاق الكرة الأرضية (9).

النتيجة :

ونخلص بعد هذا إلى نتيجتين أساسيتين من خلال المفاهيم المختلفة التي أوردناها لتفسير مصطلح العولمة لا يكاد يجمع بينهما غير مرجعية المصطلح لما بينهما من تباين بين في تجلية المقاصد و الأهداف التي تسعى العولمة ومنظورها لتحقيقها في الواقع، وهاتان النتيجتان هما (10).

أولاً : أن العولمة لا تعني في النهاية اندماج العالم وذوبانه في قرية واحدة على الطريقة الأمريكية التي توحس منها حتى الأوروبيون أنفسهم، بل هي طريق نحو التقاء الجميع من أجل صناعة مستقبل الجميع، وهي الصورة الظاهرة التي يروج لها الغربيون، وتلقى بذلك وقعاً في أنفس كثير من المثقفين ممن ينتمون إلى الدول النامية، الذين يتخذون منة موقعهم دور المدافع والمنافع عن هذه الأفكار الجديدة التي لا تحمل سوى الخير للجميع دون استثناء.



مستقبل العلاقات الدولية بين العالمين الإسلامي والغربي

ثانياً : أن كل تعريف مما أوردناه يلمس أحد جوانب ظاهرة العولمة المركبة والمعقدة، وعليه فإن هذه التعريفات جميعاً تكاد تكون المكون الأساسي لحقيقة واحدة لمصطلح العولمة، والتي لا تخرج في النهاية عن حتمية تعميم النموذج الغربي في مختلف مناحي الحياة على جميع شعوب العالم، مما يقتضي الانسلاخ عن جميع العادات و الأعراف والمعتقدات السائدة في أوساط هذه الشعوب، لأنه لا مكان لها في ذهنيات الناس وسلوكياتهم أمام زحف العولمة الثقافية والاقتصادية والسياسية وغيرها. ولا تبعد هذه الأخيرة أن تكون النتيجة الفعلية والواقعية لمفاهيم العولمة، و ما النتيجة الأولى إلا ذريعة اجتهد منظرو العولمة في وضعها لتمرير مشاريعهم الاستعمارية لحكم العالم أجمع من خلال العمل على تلميع صورة العولمة، وجعل الناس يقبلون عليها بدل أن تفرض عليهم، على ما فيها من جوانب إيجابية حقيقية ينبغي ألا نهمّلها في نظرنا العميقة لحقيقة العولمة. غير أن إدراك هذه الجوانب غير متاح إلا لمن يملك الفكر العلمي والتفكير العلمي، فهو وحده يستطيع أن يضع يده على منابع الإيجابية التي يمكن توجيهها لمصلحته.

الجوانب الإيجابية في العولمة :

بالرغم من غلبة صفة السلبية على ظاهرة العولمة، إلا أنها تتميز ببعض الإيجابيات التي يمكن التركيز عليها للدخول - الحتمي - إلى قضاء العولمة بما يضمن تلافي آثارها السلبية وأحسب أن أهم ما يطبع العولمة من إيجابيات يتركز في:

- إمكانية تحقيق الوحدة والإخاء بين جميع البشر إذا ما روعي في العولمة الجانب الإنساني⁽¹¹⁾.



-زوال جميع الحدود والحواجز التي تحول دون تنقل الأشخاص والبضائع، تلك الحواجز التي صنعتها سنوات الحرب الباردة.

-إمكانية الاستفادة من الثروة المعلوماتية والتكنولوجية فيما يخدم مصالح الأفراد والمجتمعات.

الجوانب السلبية في العولمة :

يكاد يجمع الدارسون لظاهرة العولمة على أن سلباتها لا تقف عند حد معين ولا تنحصر في مجال دون آخر، بل هي متجلية في مختلف مجالات الحياة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها، ولكثرتها سأقتصر على ذكر بعض منها، وهي:

تسعى العولمة إلى بلوغ الهدف المثالي لها وهو أن تكون للعالم حضارة عالمية واحدة، يسود فيها نظام اقتصادي واحد ونظام سياسي واحد وأن يعم في العالم نموذج تعليمي وتربوي واحد، وأن تكون هناك لغة مشتركة وغير ذلك مما يتعلق بالمقومات الحضارية فينبغي أن تكون كلها واحدة وموحدة.

استغلال دول الغرب مواقفها القوية في تكريس أطماعها في الاحتواء والسيطرة على مقدرات الدول النامية والفقيرة.

التجاهل الملحوظ لنصيب حقوق الإنسان وحرريات الشعوب والمجتمعات في تقرير مصيرها عندما يتعلق الأمر بدول العالم الثالث وخاصة منها الدول الإسلامية، وخير شاهد على ذلك الاحتلال الإسرائيلي لدولة فلسطين وللأراضي العربية والممارسات العنصرية



مستقبل العلاقات الدولية بين العالمين الإسلامي والغربي

التي دامت لما يقرب المائة سنة ولا تزال أمام مرأى ومسمع العالم وعلى رأسه دول الغرب والمنظمات العالمية التي تتشدد بترقية حقوق الإنسان والدفاع عنها.

هذه بعض من السلبات التي تطبع ظاهرة العولمة، وتؤثر بشكل مباشر على إقامة علاقات دولية مستقرة تحفظ مصالح جميع أطرافها. ولذلك نجد المنظمات المناهضة للعولمة تتزايد مع مرور الوقت لتقف في حركات احتجاجية ومنتديات عالمية أمام زحف العولمة، وقد سجلت آخر هذه الاحتجاجات في مدينة بومباي في شهر جانفي 2004م حيث التقت أزيد من 311 منظمة وحركة اجتماعية تحت شعار إعلان بومباي 2004م ضد العولمة والحرب الإمبريالية، وهذا بالتوازي مع عقد المنتدى الاجتماعي العالمي في نفس التاريخ.

المحور الثاني:

مستقبل العلاقات الدولية من منظور حتمية الصراع والهيمنة:

ويتصور هذا المنظور بشكل واضح في تلك العلاقات الدولية المبنية أساسا على العداوة والعنصرية والنظرة العدوانية للدول الضعيفة والفقيرة، فإن هذه النظرة تجد لنفسها في العولمة بمعناها السلبي الاحتوائي فضاء واسعا لتكريس هذه العلاقات.

ويبدو أن أنصار هيمنة الصراع على العلاقات الدولية بين المسلمين والغرب لم يكن لهم ليتجحوا بأفكارهم وآرائهم في الجهر بملء حناجرهم بأن الإسلام والمسلمين هم الخطر الزاحف على الحضارة الغربية لولا الظروف الدولية التي جددت عقب انهيار القطبية الثنائية وسيطرة العالم الغربي على النظام الدولي.



إن ما طرحه صموئيل هنتون - أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد - من أفكار تدعو إلى ضرورة مواجهة الحضارة الغربية لكل ما هو غير غربي وعلى رأس ذلك كله الحضارة الإسلامية في شكل مقال نشر في صيف سنة 1993م بعنوان صراع الحضارات ثم في كتاب بالعنوان نفسه لقي ترحيبا واسعا في الأوساط الغربية المعادية للإسلام والداعية إلى ضرورة سيطرة الغرب على العالم في جميع المجالات، لتتحول هذه الأفكار في ظرف قياسي إلى نظرية متكاملة خرجت من مجرد قضية أكاديمية لتتحول إلى استراتيجية كونية تبنتها العديد من الأوساط الفاعلة والرسمية في العواصم الغربية.

إن مهندسي النظام العالمي الجديد من دول الغرب و على رأسهم الولايات المتحدة وبريطانيا نصبوا أنفسهم ليكون الإسلام هو العدو الجديد لهم بعد انهيار المعسكر الاشتراكي، وقد اعتمدوا في تحقيق مشروعهم هذا طريقين :

الأول : تكريسهم لفكرة الإسلام وفوبيا -أو ظاهرة الخوف من الإسلام - ونشرها في أوساط المجتمعات الغربية، فمجال هذا الطريق ضيق وفضاؤه قاصر على نطاق دول الغرب فقط، خاصة تلك التي تتواجد بها أعداد كبيرة من أفراد الجاليات المسلمة كفرنسا وبريطانيا وأمريكا وألمانيا..، وأهدافه جلية تتركز في الحد من هجرة المسلمين إلى الغرب، والحد من اندماج الجاليات المسلمة في المجتمع المدني في الغرب تمهيدا لعزل أفرادها كائنا وطردهم إلى أوطانهم الأصلية .

والثاني : يتمثل في سعيهم لفرض فكرة مكافحة الإرهاب الذي يعني عندهم الإسلام والجماعات الإسلامية على المجتمع الدولي، وفرض العزلة والعقوبات على كل دولة لا تستجيب ولا تمتثل لأي قرار يتخذ بهذا الشأن .



بؤادر قيام العلاقات الدولية على فكرة الصراع :

إن ما يعيشه العالم اليوم تتجلى فيه كثير من البؤادر التي تلوح بمستقبل للعلاقات الدولية أساسها الهيمنة والصراع، أهمها :

1- قيام سياسة الدفاع والخارجية في الغرب على محاربة الإرهاب دون تحديد وتوضيح يجلي الصورة الحقيقية للمصطلح، غير أن الواقع يكشف عنها من خلال التصرفات والسلوكات التي تعيشها بعض الدول الإسلامية وحركات المقاومة في فلسطين والشيستان ومن قبل في الكوسوفو والبوسنة وغيرها، بأن الإرهاب الذي يجب محاربته ما هو إلا مجرد قناع ينفى خلفه الغرب حقيقة العدو، وهو الإسلام والمسلمون وليس كما يزعمون الإرهاب.

2- عزل أية دولة ترفض مشروع أمريكا والغرب في محاربة الإرهاب.

3- قيام حرب عالمية ثالثة يشنها الغرب النصراني المدعومة بالحقن اليهودي على الشرق المسلم، وهي حرب دينية وحضارية وثقافية، وما تعيشه بعض الدول الإسلامية اليوم مثل أفغانستان والعراق وفلسطين والشيستان وغيرها من حرب قدرة لا يراد منها سوى القضاء على الهوية الإسلامية.

4- سياسة الغرب المزدوجة في الكيل بمكيالين متباينين في معالجة القضايا التي تخص المسلمين بالذات.

كل هذه البؤادر وغيرها تقف مجتمعة لتجعل من الصراع والمواجهة أمرا واقعا يهيمن على مستقبل العلاقات بين الدول، وحقيقة تنتظر اكتمال بعض العناصر الضرورية للانفجار.



بواعث فكرة الصراع في رسم مستقبل العلاقات الدولية :

لقد كان لظهور العولمة كظاهرة لا مفر للدول من التفاعل والتعامل معها أثره البالغ في دعم أطروحة الصدام والصراع بين الحضارات من جهة لاسيما بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، وفي تعميق الفهم حول العوامل التي تبعث على حتميته كخيار استراتيجي لا بديل للغرب عنه. بما يناسب الظروف والمستجدات العالمية على مختلف الأصعدة.

ومن أهم البواعث التي تقف خلف فكرة الصراع الإطار المستقبلي للعلاقات الدولية:

1- استعادة الغرب وفي مقدمته أمريكا الثقة والهيمنة التي تزعزعت عقب أحداث 11 سبتمبر 2001م، من خلال اعتبار العالم الإسلامي الطرف المحوري الذي يستوجب الأمر ضرورة تعديل وتغيير طبيعة العلاقات المستقبلية بما يكفل التحكم المطلق للغرب في السياسة العالمية.

2- إعادة ترتيب الأوضاع في العالم خاصة منطقة آسيا والشرق الأوسط عقب انهيار الاتحاد السوفياتي، واعتقاد الغرب بأن الإسلام مرشح لأن يكون أهم أيديولوجية مختلفة مع الغرب، تمتلك القدرة الذاتية على الممانعة وتستطيع أن تحرك الملايين من الناس على امتداد مساحات جغرافية شاسعة موزعة عبر قارات إفريقيا وآسيا وأوروبا، وهذا ما أكدته كتاب الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة لمؤلفيه "جراهام فولر" وإيان ليسر، حيث جاء فيه:



مستقبل العلاقات الدولية بين العالمين الإسلامي والغربي —

"لقد ظلت الأصولية الإسلامية القوة الوحيدة تقريبا المناهضة للغرب على مدى العقدين الأخيرين خاصة مع تماهي الحركة الشيوعية" (12).

3- اتخاذ الإرهاب وانتهاك حقوق الإنسان وحماية الأقليات والقضاء على الأنظمة الديكتاتورية عناوين لتبرير التدخل العسكري في كل مكان وفي أي زمان.

4- تجديد أطر السياسة العالمية وقواعد العلاقات الدولية تبعا لفضاءات الحدود الثقافية والحضارية، بمعنى أن الشعوب ذات الثقافات المشتركة تتقارب والشعوب والدول ذات الثقافات المختلفة تتباعد، فالحدود السياسية يعاد رسمها لكي تتوافق مع الحدود الثقافية والعرقية والدينية والحضارية، وخطوط التقسيم بين الحضارات تصبح هي خطوط الصراع الرئيسية في السياسة الدولية (13).

تأثير العلاقات الدولية المبنية على فكرة الصراع على العالم الإسلامي :

لاشك أن تبني الغرب لخيار الصراع والتصادم مع العالم الإسلامي له انعكاساته الخطيرة على مصالح هذا الأخير، فضلا عما يجنيه الغرب من سياسته العدوانية إن أجلا أو عاجلا، ومن أبرز آثار هذا التوجه على الدول والمجتمعات الإسلامية :

1- إخضاع جميع الدول الإسلامية للهيمنة الأمريكية .

2- تجريم حركات المقاومة في بعض دول العالم الإسلامي كفلسطين والشيخان والعراق وألبانيا أو في غيره من الدول التي تتواجد بها الأقليات المسلمة كما في الهند والفلبين وتايلاند... والتي تعيش على السواء تحت وطأة الاحتلال والاضطهاد.



3- التحكم التام للمقومات الاقتصادية لدول العالم الإسلامي من طرف قوى الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية خاصة ما تعلق منها بالحروب والمعادن كما هي الحال بالنسبة لدول الخليج والشرق الأوسط..

4- تعميق الهوية بين العالمين الغربي والإسلامي، الأمر الذي سيفتح الباب واسعا أمام خيار المواجهة والصراع وقيام العلاقة على أساس وحيد هو دار الإسلام ودار الكفر.

المحور الثالث:

مستقبل العلاقات الدولية من منظور خيار الحوار والتعاون وتكافؤ الفرص:

إذا كانت فكرة الصراع بين العالمين الغربي والإسلامي هي السائدة في منطق وسلوكات الكثير من أعلام النخبة الفكرية والسياسية في الغرب، فإنه لا يمكن الجزم بأن العلاقات الدولية بين العالمين يحكمها الصراع والتصادم، ذلك أن هامش التعايش في ظل الحوار والتفاهم يبقى قائما، لاسيما بعد تزايد الاعترافات والشهادات خلال العشرية الأخيرة حول مساهمة الحضارة العربية والإسلامية في الحضارة المعاصرة من قبل بعض المنصفين من ساسة وعلماء الغرب، الأمر الذي يشجع على خلق أجواء جديدة تساعد دعاة الحوار والتعايش من الطرفين- في الوقوف على قاعدة صلبة تضمن استمرارية مسيرة الحوار لإنجاحه وتحقيق أهدافه.

ومن ضمن هذه الاعترافات ما جاء في محاضرة للأمير شارلز ولي عهد بريطانيا تحت عنوان الإسلام والغرب بمناسبة زيارته لمركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية في أكتوبر سنة 1993م، حيث قال : " لقد تم الاعتراف منذ عهد طويل بمساهمة إسبانيا في ظل الحكم



الإسلامي في الحفاظ على العلوم والمعارف الكلاسيكية خلال عصور الظلام، وفي وضع اللبنة الأولى للنهضة الأوروبية .. فإسبانيا في عهد المسلمين لم تقم بجمع وحفظ المحتوى الفكري للحضارة اليونانية والرومانية، بل فسرت تلك الحضارة وتوسعت فيها، وقدمت مساهمة هامة من جانبها في كثير من مجالات البحث الإنساني، في العلوم والفلك والرياضيات والجبر، والقانون، والتاريخ، والطب، والزراعة، والهندسة المعمارية .. (14).

ولم تقف هذه الحقائق عند حد الاعتراف فقط، بل تعدت في الفكر الغربي وارتقت إلى مرتبة تقديم الأدلة الجديدة عليها، وهذا ما أكدته المشاركون في مؤتمر "التأثير العربي" الذي نظمه قسم الدراسات الخارجية في جامعة أوكسفورد في أبريل سنة 1990م (15).

تشجيع الإسلام على الحوار إقامة العلاقات مع غير المسلمين :

فخاصية العالمية التي يتميز بها الدين الإسلامي عن سائر الديانات السماوية الأخرى تكفل لأهله التعايش مع جميع الناس في مختلف الأعصار والأمصار، فهو ليس بالدين الذي تحده ظروف جغرافية أو مناخية أو ثقافية أو زمانية، فمنذ أن جاء الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه بهذا الدين والناس في تزايد مستمر ودؤوب ولا يزالون يدخلون في دين الله أفواجا، فخاصية العالمية تجعل الإسلام دينا عقيدة وشريعة لمعتنقيه، ونظاما يحكم علاقة أهله مع غير المسلمين على اختلاف مراكزهم في هذه العلاقة كأن يكونوا مستأمنين أو أهل ذمة أول أهل عهد وغير ذلك.

وتبني سياسة الإسلام في تسيير علاقات المسلمين بغيرهم من أهل الملل الأخرى على التمييز بين ثلاثة أصناف من الناس:



-المسلمون: وهم كل من يدين بدين الإسلام بغض النظر عن موطنه أو جنسه أو لغته أو لونه، فالجميع يشتركون في صفة الإسلام تحب لهم نفس الحقوق وتقع عليهم نفس الواجبات والالتزامات دون الاعتبار بالفوارق الجغرافية أو الاختلافات اللغوية والعرفية، ويطلق على هذا الصنف في اصطلاح أهل الفقه أهل دار الإسلام.

-المسالمون: وهم الأجانب غير المسلمين الذين يقيمون في دار الإسلام، وهم أصناف متنوعة من حيث علاقتهم بالمسلمين، يقول ابن القيم: "الكفار، إما أهل حرب وإما أهل عهد، أهل العهد ثلاثة أصناف: أهل ذمة، وأهل هدنة، وأهل أمان..".
فأهل الذمة هم من يقيمون في دار الإسلام ويحترمون أحكامه وفق عقد الذمة الذي يوجب عليهم دفع مقابل للمسلمين يسمى الجزية.

وأهل الهدنة هم من صالحوا المسلمين على أن يكونوا في دارهم، شرط الكف عن محاربة المسلمين، وهؤلاء لا يجري عليهم ما يجري على أهل الذمة من أحكام.

وأما أهل الأمان، أو ما يسمون بالمستأمنين، فهم الذين يفدون في كل مرة على دار الإسلام لممارسة مختلف الأعمال المدنية والتجارية، فهؤلاء يتمتعون بالأمان في دار الإسلام ولا يجبرون على الدخول في الإسلام بل يعرض عليهم فإن أسلموا فهم مثل سائر إخوانهم المسلمين، وإن أبوا لم يسقط عنهم الأمان إلى حين لحاقهم بمأمنهم في بلادهم الأصلية.

-الحربيون: وهم الذين لا يدينون بالإسلام، ولم يدخلوا مع المسلمين في عقد ذمة ولا عهد ولا أمان، وليس من شرط إطلاق الوصف ضرورة أن تقوم الحرب بينهم وبين المسلمين، بل إن نصب العداء ورفض العهود والمواثيق وتهديد المسلمين في أموالهم وأعراضهم ودمائهم مسوغ شرعي بنى على وفقه الفقهاء أحكام أهل الحرب أو الحربيين.



مستقبل العلاقات الدولية في ظل العولمة بين التأثير والتأثر :

إذا كانت العولمة - كما سبق - ظاهرة مركبة ومعقدة في مكوناتها يغلب عليها الجانب السلبي في جوهرها، ويصعب إدراك حقيقة الإيجابي منها، فإن مستقبل العلاقات الدولية مرهون بمدى تأثيره و تأثره بهذين الجانبين .

وحتى نضمن مستقبلا أفضل للعلاقات الدولية تحت مظلة العولمة، ينبغي أن يلعب العنصر الإيجابي فيها دوره المنوط به في عمليتي التأثير والتأثر. ويتصور ذلك فيما يلي :

عنصر الإيجابية في العلاقات الدولية مع مثيله في العولمة :

إن التلاقح بين العناصر الإيجابية في العلاقات الدولية مع مثيلاتها في العولمة هو بحق التكامل المنشود في إيجاد علاقات دولية تحقق النفع والصالح لجميع الدول على حد سواء. فيتجسد السلم على أرض الواقع، ويعم الأمن في العالم، ويتجسد فيها التوازن بين الجميع في توزيع الخيرات، وتزول مختلف مظاهر البؤس والحرمان والفقر والأمراض التي تتألم منها بعض البلاد الإسلامية الفقيرة.

عنصر الإيجابية في العلاقات الدولية ينبغي ألا يتأثر بالعناصر السلبية

في العولمة :

فالعلاقات الدولية المنشودة في ظل العولمة يجب أن تحافظ على إيجابياتها في كونها وسيلة أساسية للتعرف على الآخر والانفتاح عليه، ويتحتم على فاعليها ألا يستسلموا للإفرازات السلبية للعولمة التي يريد العالم الغربي أن يفرضها. بمنطق القوة، اقتصادية كانت أم سياسية،



إذ عليهم أن يضطلعوا بدور المغير من خلال العمل على تكريس الإيجابيات التي تتميز بها العلاقات الدولية، والذود عنها أمام إرهابات العولمة التي تهدد كيان الأمم والشعوب.

عنصر السلبية في العلاقات ينبغي أن يتأثر بعنصر الإيجابية في العولمة :

لا شك أن ما شهده العالم في العشرية الأخيرة من القرن الماضي وما يشهده اليوم من تحولات جذرية لم يسبق لها مثيل في التاريخ لها دور مهم وفعال في تغيير طبيعة العلاقات بين الدول. فما كان سائدا في الماضي من محدودية في هذه العلاقات بسبب تحكم المصالح الضيقة وسيطرة الرعة الذاتية المطلقة في إنشائها، يجب أن يتفاعل مع المستجدات الدولية وما نَحْمِلُهُ العولمة من إيجابيات - على قتلها - لاسيما ما يتعلق منها بحرية التنقل بعد رفع الحواجز التي صنعتها الحرب الباردة لأزيد من نصف قرن.

شروط وآليات الحوار كخيار استراتيجي لعلاقات دولية مستقبلية :

إذا كان هدف الحوار هو الوصول إلى نتيجة تعود بالنفع والصلاح على طرفية أو أطرافه ويرضى بها الجميع، فإن الحوار لا يمكن له أن يبلغ هذا القصد إلا إذا توافرت الشروط والمقومات الأساسية التي ينبغي إيجادها مع ما تتطلبه من آليات لتحقيقها على أرض الواقع، وإلا فإن إجراء الحوار بمعزل عن شروطه إنما هو حوار صوري شكلي عديم الجوهر.

وأهم ما يجب العمل على تحقيقه ما يلي :

- 1- لم تشمل المجتمعات والشعوب الإسلامية على اختلاف الدول التي ينتمون إليها لاتخاذ موقف موحد حيال التحديات الراهنة إحياء لفكرة دار الإسلام التي أثبتتها الشريعة الإسلامية في التعامل مع الغير مجتمعات وأفرادا.



مستقبل العلاقات الدولية بين العالمين الإسلامي والغربي

فقد قال تعالى: ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾⁽¹⁶⁾، وقال في آية أخرى: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا من بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾⁽¹⁷⁾.

وقال رسول الله ﷺ: "المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم"⁽¹⁸⁾.

وقال أيضا: "مثل المؤمنين في تراحهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"⁽¹⁹⁾.

وغير هذه النصوص كثيرة وجميعها تثبت أن المسلمين يجب أن يكونوا على مر الأزمان أمة واحدة كما قال تعالى، وأن في وحدتهم بقاء لقيامهم.

ولنا في منظمة المؤتمر الإسلامي نموذج يحتاج إلى الدعم والتشجيع، وبذل مزيد من الجهود ليضطلع بمسئوليته الكاملة في جعله منبرا لوحدة الكلمة والخطاب فيما يتعلق بالقضايا المصيرية للأمة الإسلامية، وعلى رأسها سياسة العلاقات مع الدول غير المسلمة ومنها دول الغرب.

2- دعم ثقافة الحوار بين الحضارات :

وهو شرط ضروري لإرساء دعائم وأسس الحوار التي تشكل أرضية مشتركة يقف على سطحها جميع أطرافه، الأمر الذي يسهم في تجسيد فكرة حتمية الحوار ويضمن نتائجه، ومن بين الآليات التي تساعد على تحقيق هذا المقوم ما يلي :



- التزام حكومات دول العالم الإسلامي والعالم الغربي و جميع الهيئات التربوية والثقافية في العالمين بتشجيع الحوار وروح التسامح كإطار جديد منظم للعلاقات الدولية.
- احترام الخصوصيات الإسلامية والاعتراف بها، والإيمان بالنسبة للغربيين بالتنوع الثقافي والحضاري، والدعوة إلى مزيد من التعرف على الآخر بموضوعية، وعدم الخلط بين المصالح الاقتصادية والسياسية وبين العقائد الدينية التي تمس الوجدان الروحي للشعوب.
- استخدام الثورة التكنولوجية بجميع أدواتها من أجل نشر رسالة الحوار و التعايش السلمي بين جميع الدول.

3- العمل على وضع حد للمخاطر التي تهدد السلم والأمن الدوليين :

لاسيما في مجال مكافحة الاتجار بالمخدرات والجريمة المنظمة، وكل ما من شأنه أن يهدد أمن الأفراد والدول ، ولا يتم ذلك إلا من خلال احترام القوانين والمواثيق الدولية، وتكريس الالتزام بها عن طريق التشريع الداخلي للدول الذي يجب أن يتطابق معها في الغاية و الهدف .

4-تطبيق الحوار بين الحضارات في المجالات المتأزمة من العلاقات الدولية :

ومن أبرز الآليات التي تكفل تحقيق هذا الشرط ⁽²⁰⁾:

- عدم اللجوء إلى الحرب واستخدام القوة أو التهديد باستخدامها في العلاقات الدولية باستثناء حالات الدفاع المشروع.
- الالتزام العالمي بالحلول السلمية للمنازعات وفقا للقانون الدولي.



- ضرورة احترام العدالة وسيادة القانون في العلاقات الدولية ورفض سياسات التمييز والكيل بمكيالين.

- الإنجاز العاجل الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي الفلسطينية والسورية واللبنانية المحتلة وتمكين الفلسطينيين من إقامة دولتهم المستقلة وعاصمتها القدس الشريف وفقا لقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة. وإنها احتلال قوات التحالف للعراق، تمكين العراقيين من حكم دولتهم وتسيير شؤونهم بعيدا عن أية وصاية خارجية.

- إلزام العالم الغربي بمبادئ العدالة والشفافية والديمقراطية في تمثيل العالم الإسلامي - خاصة - في المؤسسات الدولية، من خلال العمل على كشف سياسة الازدواجية التي تمارسها بعض دوائر السلطة في الغرب للرأي العام العالمي عندما يتعلق الأمر بأي من الدول الإسلامية.

وختاماً: فإن لا مناص من سلوك طريق الحوار بين العالمين الغربي والإسلامي كخيار استراتيجي في بناء مستقبل العلاقات الدولية في ظل العولمة الزاحفة، غير أن ذلك متوقف على توفير شروط الحوار وآلياته التي تكفل سلامة الوصول إلى نتائجه وأهدافه التي تنعكس آثارها الإيجابية على طرفيه، وينبغي التحذير من خطورة الخداع أو التحايل من الغرب في الإيهام بأن الحوار مع العالم الإسلامي هو الخيار الذي يجب أن يحكم العلاقة بينهما، فإن مال ذلك الفشل المحتوم، وأن سلبياته لا تقتصر آثارها على المسلمين فحسب، بل إن فضاءها ومساحتها أوسع من ذلك بكثير لتطال الجميع..



الهوامش

- 1- التاريخ السياسي الحديث و العلاقات الدولية المعاصرة، فايز صالح أبو جابر، ص 16، ط : 1، 1409هـ، 1989م، دار البشير، عمان، الأردن.
- 2- أنظر : العلاقات الدولية، جوزيف فرانكل، ترجمة غازي القصيبي، ط : 2، ص : 12.
- 3- المرجع نفسه : 15.
- 4- العولمة الإعلامية، مؤيد عبد الجبار الحيدني، ص : 28، ط : 1، 2002، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان.
- 5- العولمة: أية عولمة؟ يحيى اليحيائي، أفريقيا الشرق، المغرب 1999، ص : 18.
- 6- أنظر تفصيل ذلك في : فسخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية لهاني بيترمارتين وهار الدشومان، ترجمة عدنان عباس علي، مراجعة وتقديم رمزي زكي، ص : 7-8، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت. وصراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، محمد الشيبني : 23، ط : 1، 2002، دار العلم للملايين، بيروت. نظرية نقدية لتعريفات العولمة للسيدس، مقال في جريدة الأهرام، ديسمبر 1999.
- 7- العرب والعولمة، محمد الأطرش، مقال في مجلة المستقبل العربي، ص : 101، عدد 229، مارس 1998.
- 8- ثقافة العولمة و عولمة الثقافة، برهان غليون وسمير أمين، ص : 21.
- 9- أنظر : العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، فتحي يكن و رامي طنبور، ص : 10.
- 10- أنظر : الانعكاسات السلبية للعولمة على الثقافة الإنسانية وسبل مواجهتها، صالح بوبشيش، بحث قدم إلى المؤتمر الدولي الثامن الذي احتضنته كلية الحضارة الإسلامية بوهران في شهر ديسمبر 2003.
- 11- أنظر : اقنعة العولمة السبعة، نبيل راغب، دار راغب القاهرة، ص : 21.
- 12- أنظر : المرجع نفسه، ص : 26.
- 13- أنظر : من صدام الحضارات إلى حوار الحضارات.. قراءة نقدية في مقولة هنتجتون، مقال لرسول محمد رسول على موقع البلاغ، 2000، ALBALAGH.COM
- 14- دراسات وتوثيق بليوغرافي في كتب و ندوات 90-99، محمد دكير، موقع الشروق على الإنترنت.
- 15- المرجع نفسه.
- 16- سورة المؤمنون، الآية : 52.
- 17- سورة آل عمران، الآية : 105.
- 18- الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر، وابن ماجه في كتاب الدييات، باب المسلمون تتكافأ دماؤهم.
- 19- الحديث متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ورواه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين و تعاطفهم وتعاضدهم.
- 20- أنظر : إعلان طهران حول الحضارات المنبثق عن الندوة الإسلامية لمنظمة المؤتمر الإسلامي حول حوار الحضارات المنعقدة بطهران 3-5 ماي 1999 م.